# المسلم العثماني كآخر في كتابات لويس برنار

# The Ottoman Muslim as other in the writings of Louis Bernard

**بن سخري زبير،**

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة

البريد الإلكتروني : Zoubir24000@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2017/04/06 تاريخ القبول: 2020/05/11 تاريخ النشر: 2020/06./01

**ملخص:**

يعتبر المستشرق لويس برنار من أكثر المستشرقين إثارة للجدل في الفترة الحديثة والمعاصرة؛ لارتباط اسمه بالسياسة والرؤيا الجيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط، وقد اهتم أيما اهتمام بالحضارة العربية الإسلامية وخاصة فترة الإمبراطورية العثمانية أين شكل الإسلام تهديدا حقيقيا لأوروبا. نوضح في هذا المقال صورة المسلم العثماني في بعض كتابات لويس برنار حيث لم يول أهمية لصورة وتمثل الآخر اجتماعيا وثقافيا عند العامة كما يشيع في أغلب الدراسات، بل أولى حضور العثماني أهمية في المدونات السياسية والفكرية والأدبية الغربية وحضوره كعلاقة وجودية مساهمة في تشكيل تاريخ أوروبا والعالم في ظل الصراع الإسلامي المسيحي في القرون الوسطى وحتى العصر الحديث.

**الكلمات المفتاحية:**

الاستشراق، المسلم العثماني، لويس برنار، صورة الآخر، الإمبراطورية العثمانية.

**Abstract:**

The orientalist Louis Bernard is considered as one of the most controversial Orientalists of modern times because of his association with politics and the geopolitical vision of the Middle East. He also paid particular attention to the Arab-Islamic civilization, especially the Ottoman Empire, where Islam posed a real threat to Europe. In this article we illustrate the image of the Ottoman Muslim in some of the writings of Louis Bernard, where he did not attach importance to the other's image and representation both socially and culturally in the public as is commonly claimed in most studies, but more importantly to the significance of the Ottoman presence in the political, intellectual and literary corpora of the West and its

presence as an existential relationship contributing to shaping the history of Europe and the world under the Islamic-Christian conflict which started in the Middle Ages and continued up to the modern era.

**Key words**: orientalism, Ottoman Muslim, Louis Bernard, other's image, Ottoman Empire

**المؤلف المرسل:** بن سخري زبير، **الإيميل: zoubir24000@yahoo.fr**

## 1. مقدمة:

يعد برنارد لويس مؤرخا مثيرا للجدل في العالمين العربي والإسلامي لما له من آراء متحيزة في دراسة المسألة الشرقية ، فقد ظهر اسمه بقوة في حركة الاستشراق الجديد أو ما يعرف باسم الدراسات المناطقية، واهتم هو بمنطقة الشرق الأوسط جغرافيا والإمبراطورية العثمانية ثقافيا، " لقد تميز برنارد لويس بقدرة هائلة على تحليل بنية المجتمع الإسلامي ثقافيا وفكريا من خلال الاطلاع على أرشيف الإمبراطورية العثمانية، ودرس أسباب قوة وضعف هذه الإمبراطورية والقوانين المحركة للمجتمع الإسلامي في ظل النموذج العثماني" **(الجوجري، 2013، ص 18)**، على اعتبار انتمائه للإمبراطورية الإنجليزية وما تحتفظ به من كم هائل من أرشيف المنطقة المعنية في الدراسة.

كثيرا ما نشعر بالصراع والصدام مع ما يحيطنا، ولكننا نتجاوز هذا الصراع في شكله العلني إلى شكله الرمزي؛لأنه حسم وبقي فقط أثره النفسي الذي تتشبع به اللغة المتداولة يوميا، فمن العادات الموروثة في المجتمع الجزائري فطور الصباح على الطريقة الفرنسية؛ قهوة وحليب مع قطعة خبز على شكل هلال(Croissant) ، فهذا الشكل ليس خبزا في جوهره بقدر ما هو رمز " ليس للرمز وحده فقط معنيان، الأول محسوس خاص ، والآخر تلميحي، مجازي، ولكن يظهر لنا تصنيف الرموز أيضا الأنظمة المتعارضة التي ترتب على أساسها الصور..." **(برنار، 2007، ص113)**، فالهلال الذي اعتمده المسلمون أداة للحساب أصبح رمزا لهم في رايات الحرب - حتى ليعلق لويس برنار على فتح القسطنطينية "وكانت النتيجة أن قتل القسطنطين الأخير مقاتلا مع جنوده، ورفع

الهلال فوق قبة آيا صوفيا، واتخذ سلطان الروم الإقامة في مدينة الإمبراطورية" **(برنار، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، 1982، ص43)**، ويعلو المساجد في أبهى الأشكال ومن أصلب المواد، أضحى من العجين ويأكل كل صباح انتقاما من الإمبراطورية التي شارفت أسوار فيينا. فبالمقابل ستحمل الهزيمة في الرموز والخيال ولا أقرب للخيال من اللغة، فما زلنا حتى الآن نردد في المساجد والمدارس وأحاديثنا اليومية العبارة التالية "إن هذه الدنيا هي جنة الكافرين وجحيم المؤمنين"؛ فيما يفصل لويس برنار سياقها الثقافي الذي نشأت فيه إبان القرن الثامن عشر حيث بدأ المسلمون يشعرون بوضع جديد وما نقل لهم عن أوضاع أوروبا الداخلية، وأنهم لم يعودوا قادرين على تلبية واجبهم الديني في توسيع رقعة الإسلام أمام الزحف النمساوي والزحف الروسي **(برنار، الإسلام والغرب، 2007، ص44)** .

إن مفهوم الآخر عند برنار لويس لا يتجسد في سلوكات وصور جماعية وفردية، نفسية واجتماعية؛ بل آخر لويس برنار هو مكون أنطولوجي يمثل مرآة عاكسة للأنا، من خلال سيرورتها استطاع تشخيص وتعميق تفسير الصراع الإسلامي الغربي، لن نجد مع لويس برنار صور المتحضر والبربري والنبيل والمتوحش، بل جملة من العلاقات والوسائل التاريخية التي أمكنت للأنا أن تقرأ الآخر في صورة أوضح وتتمثله في علاقات دنيوية تاريخية حقيقية بعيدة عن الخيال والأسطرة، فكون الإصرار على الصراع من الطرفين أجج الصدام وعدد وسائله ولكن اختلفت نتائجه أيما اختلاف، فقوة الإمبراطورية العثمانية التقليدية مكنتها من الوقوف أمام جدران فيينا مرتين واحتلال جزء معتبر من أوروبا الشرقية، وقوة المعرفة الحديثة الأوروبية و الاستشراق مكنتا أوروبا من استرداد أراضيها وتفتيت العالم الإسلامي بالكامل؛ وهذا لأن أوروبا لم تهمل الآخر الوجودي في تكوين أناها، وتغافل عنه العثماني؛ ظانا أنه لن تقوم له قائمة بعد في التاريخ.

حول الاستشراق العثماني من عدو يربض على الحدود إلى مادة للتأريخ والسرد؛ من أخبار الرحالة ورسائل السفراء، يسهل التأريخ لها والعودة إليها "التأريخ هو أحد العناصر الأولى في قوة الهيمنة الأيديولوجية للأمة أو الطبقة، سواء كان التأريخ للذات، أو لبناء تاريخ الآخر وصورته لصالح الذات، والتأريخ الإمبراطوري أكثر من غيره صاغ أدبه الإمبراطوري من تصورات وتواريخ وصياغات للأوضاع الاجتماعية بتيسير من "غياب الآخر " غالبا "**(لبيب، 1999، ص248)** ، لم يول لويس برنار أهمية لصورة وتمثل الآخر اجتماعيا وثقافيا عند العامة أو الخاصة بل أولى حضور العثماني أهمية في المدونات السياسية والفكرية والأدبية وحضوره كعلاقة وجودية مساهمة في تشكيل تاريخ أوروبا والعالم.

## 2. تحولات المركزوالهامش في القرون الوسطى:

شكل ظهور الإسلام وانتشاره حدثا تاريخيا وسياسيا مهما، فقد غيّر الحدود الثقافية والإثنية في الدائرة الحضارية الكبرى( مصر، بلاد الرافدين، اليونان، بيزنطة، بلاد الفينيق...)، وأضحت الدولة العربية الاسلامية في شبه الجزيرة وامتدادها شرقا وغربا كيانا يصنع التاريخ ويبدع الحضارة ويخلق الهويات، فأضحى التسامح والصراع عناوين لضبط علاقات الدولة العربية الاسلامية مع غيرها من الامبراطوريات القائمة والفاعلة في حركة التاريخ والثقافة والتجارة، "عاش الإسلام لأكثر من 1400 عام، أي منذ ظهوره في شبه الجزيرة العربية والاندماج في الامبراطورية الإسلامية والحضارة المسيحية السابقة التي قامت على شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية جنبا إلى جنب مع المسيحية متجاورين دائما، ومتنافسين غالبا، وعدوين أحيانا، ويعرّف كل منهما الآخر بمعنى ما ويحدده" **(برنار، الإسلام والغرب، 2007، ص17)** ، لم يكن من السهل قبول الإسلام كحضور آخر بين الإمبراطوريات القديمة القائمة في أصلها على وجود القوة كشكل واحد للوجود، فيما جاء الإسلام بشكل جديد للوجود وهو الإنسان، ولكن سرعان ما دب الفشل في المفهوم الحضاري للإسلام لتأثره بأنظمة الحضارات القديمة الفارسية والبيزنطية والرومانية ومارس

أيضا لعبتهم التاريخية في جميع تجلياتها، فقد حسم الصراع مع الفرس والأقباط والبربر وبقية الشعوب الأخرى والإثنيات التي كانت جلها وثنية، وما توقف يوما الصراع والصدام مع ورثة المسيحية – بيزنطة وروما- ولازال مستمرا من القرون الوسطى إلى الوقت الحالي معنونا بصراع الإسلام والغرب، مع تبدل مركزي الصراع من فترة زمنية إلى أخرى "ويبدوا الإسلام والمسيحية بالمقارنة مع الأديان والثقافات القديمة في آسيا وافريقيا ديانتين شقيقتين تتقاسمان موروثا عظيما وتتشاطران – وغالبا ما- تتنازعان السيادة، فقد رأى كل دين في الآخر غريمه، ومنافسه الوحيد حقا في هذا الميدان وهذا العمل. وكانت النتيجة سلسلة طويلة من الصراعات، ابتدأت بالحروب المقدسة الأولى – الجهاد والحملات الصليبية، والفتح والاسترداد –واستمرت مع مد الإمبراطورية الإسلامية في أوروبا والإمبراطوريات الأوروبية في بلاد الإسلام. في هذا الصراع الطويل الذي لا ينتهي –للأسف- افترقت هاتان الحضارتان بما تشابهتا به أكثر مما اختلفتا فيه" **(برنار، الإسلام والغرب، 2007، 17-18)**، لم ينتبه جيدا لويس برنار إلى طبيعة الإسلام المختلفة عن المسيحية المرومنة التي أضحت سلطة رهبنة وتدجين فيما كان الإسلام أكثر انفتاحا على الدنيا والحياة؛ من هنا استشعرت الحضارات القديمة خطره الكبير،كونه دين تحرر وليس دينا لتكريس أشكال السلطات القديمة والمحافظة على أنظمة الحكم العائلية والاستبدادية، "وحتى بعد انحطاط سلطة الخلافة المركزية، وانبثاق ملكيات إقليمية داخل دنيا الإسلام الشاسعة، كانت الدولة الإسلامية الواحدة من القوة بمكان تمكنت معه، حتى أوقات حديثة نسبيا من الحيلولة دون ظهور قوى إقليمية أو عائلية حاكمة أو قومية، كتلك التي بدأت بالظهور في أوروبا حتى في القرون الوسطى" **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص24)**، من ثم كان ظهور الإسلام بمثابة ظهور حقيقي لمفهوم الآخر المختلف أنطولوجيا عن مفهوم الأنا القروسطية، واستحق أن يوصف عهده في فتراته الأولى بالفتح الحضاري والإنساني الحقيقي.

شب صراع جديد في الشرق في جغرافيا شبه أوروبية، يقوده الأتراك فزاعة أوروبا، يختم لويس برنار مقدمة كتابه"استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية" بقول أحد القساوسة في عصر اليزابيث معلقا على سقوط المسيحية وتأسيس قوة جديدة جنوب شرقي أوروبا " إمبراطورية الأتراك المجيدة وإرهاب العالم الحالي".

ففي القرن الحادي عشر ظفرت الجيوش التركية بجزء كبير من هضبة الأناضول من البيزنطيين؛ محولين ماكان يونانيا مسيحيا إلى بلاد تركية إسلامية، "وفي موضوع نشأة قوة الأتراك وانتشار الشعوب التركية وتقاليدها في أراضي الإسلام تتميز فترتان بصفة خاصة، الأولى: فترة سلاطين السلاجقة الذين حكموا الشرق الأوسط حوالي قرن من الزمن، منذ فتحهم لبغداد في 1055إلى موت السلطان سنجر 1157، والثانية: فترة الفتح المغولي في القرن الثالث العشر الميلادي وغلبة المغول ونفوذهم الذي تبع ذلك الفتح" **(برنار، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، 1982،ص 30)**، وما إن سقطت القسطنطينية كآخر حجر في البناء، حتى أطلقت من عاصمتهم الجديدة استانبول سلسلة من الحملات المتلاحقة التي أوصلتهم سهول هنغاريا ومرتين 1529، 1683 جدران فيينا، واستمر هذا الرعب على أوروبا مدة قرن ونصف أنساها تهديد العرب في إسبانيا .

تعد المرحلة العثمانية من المراحل الفاصلة في تاريخ المسيحية، ليس فقط بالنسبة للشرق بل بالنسبة للتاريخ العالمي، حيث أصبحت الأراضي المقدسة المسيحية والبطريركيات الثلاث؛ أنطاكية، الإسكندرية، وأورشليم تحت السيطرة العثمانية إضافة إلى بطريركية القسطنطينية، وذلك لمدة طويلة تجاوزت 400 سنة ( 1516-1918) **(أبو نهرا، 2013، ص02)**، فمقومات الآخر أضحت أكثر جلاء بالنسبة للغربيين المسيحيين حين قرعت جيوش وثقافة هذا المسلم الوافد الجديد عقر ديارهم، لتغير حدودهم وتشطر أراضيهم وتفرض الضرائب وتنشر الدين الجديد" في النصف الأول من القرن السادس عشر شملت الفتوحات العثمانية معظم العالم العربي فأصبح العثمانيون القوة العظمى في العالم الإسلامي، وحماة الأراضي المقدسة المسيحية والإسلامية...وفي الوقت الذي كانت فيه

السلطة العثمانية تزداد سيطرة واتساعا، كانت أوروبا المسيحية تعاني من الانقسامات الدينية والسياسية. ففي السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول مصر (1517) كان لوثر يعلق بنوده الاعتراضية على باب كنيسة ويتنبرغ مهاجما البابا والعقيدة الكاثوليكة، فأدى ذلك إلى نشأة البروتستانتية وقيام الحروب الدينية بين المسيحيين في أوروبا " **(أبو نهرا، 2013، ص04)**، بقدر ما تدل موازين القوى؛ من قوة البحرية والمشاة والسلاح والرقعة الجغرافية والسيطرة التجارية والطرق البرية والبحرية على قوة الإمبراطورية، بقدر ما تدل مواصفات ووضعية الأقليات في غير موطنها الحضاري على طبيعة العلاقة الحقيقية بين الإمبراطوريات، وهذا مادلت عليه وضعية المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية، ووضعية المسلمين في أوروبا المسيحية .

إن مثّل الرق القادم من افريقيا نظاما اقتصاديا مهما في المجتمعات المسلمة والشرقية، فقد مثل الرق القادم من شرق أوروبا مظهرا جماليا كماليا " غالبا ما حاربت القوات التترية تحت إمرة القيادة العثمانية ضد أعداء أوروبيين، في الوقت الذي وفرت فيه غارات التتار على القرى الروسية والأوكرانية والبولندية والليتوانية البضاعة لأسواق العبيد في إستانبول لعدة قرون "**(برنار، الإسلام والغرب، 2007، ص34)**، لقد شكلت أوروبا الشرقية معينا لا ينضب لعالم الحريم العثماني الذي أعطى خصوصية لنظام الحكم العثماني دون بقية الأنظمة الاستبدادية الأخرى، فإن استرق القدماء السود لامتهانهم، فقد استرقت الأوروبيات لجمالهن ولاختلافهن عن المشرقيات، ولرؤية السلطان العثماني أحقيته في موروث بيزنطة حتى أنه كان يسمى "سلطان الروم"، فهذا الاسترقاق ما هو إلا تأكيد سلطة نفسية على شعوب مسيحية مختلفة ترفض الخضوع لهذا العثماني المسلم الشرقي، وقد استشعر البابا والملك هذه الإهانة فحظروا هذه التجارة وما كانت إلا لتتأكد في تسمية الأوروبيين الشرقيين بـ" السلاف" أي العبيد، ولكم عانت انكلترا وإيرلندا من غارات القراصنة البربر الذين كانوا يحملون الأسرى لأسواق العبيد في الجزائر، وقد عبر لويس برنار عن تذمره أن شبه فعل الأتراك

والتتار بتجارة العبيد الأوروبيين ما كان قد فعله فاسكودي غاما بتجارة التوابل الشرقية، فقد ذهبوا إلى المصادر وحصلوا على ما يريدون (برنار، الإسلام والغرب، 2007، ص48).

شملت الإمبراطورية العثمانية القارات الثلاث وحكمت العديد من الشعوب والإثنيات؛ الروم، الأرثوذكس، السريان، اليعاقبة، الأرمن، الموارنة، الكلدان، البروتستانت...، ولم تكن الطوائف المسيحية تتمتع بالمساواة التامة مع المسلمين، ولكنهم تمتعوا ببعض الحريات الدينية في ممارسة شعائرهم الدينية، وحافظت الدولة على أرواحهم وممتلكاتهم، فقد اعتمد السلاطين العثمانيون نظام أهل الذمة على المسيحيين واليهود، مميزين بين "دار الحرب " و"دار السلام" التي ضمت أهل الذمة "دار العهد" وفق معايير وشروط خاصة كرسها الفقه الإسلامي **(ابراهيم، 2004،ص 338-344)**، وطبقها العثمانيون في الأراضي التي احتلوها، فلم يكن للمسيحيين أن يلبسوا لباس المسلمين، ولا أن يركبوا الخيل، ولا أن يتقلدوا السلاح مثلهم، وما كانت شهادتهم لتقبل في المحاكم، وإن أرادوا بناء كنيسة أو ترميمها استصدروا فرمانا سلطانيا **(أبو نهرا، 2013،ص 7-9)**، وحين انقلبت الموازين وأصبحت الإمبراطورية العثمانية تعرف بالمسألة الشرقية أو الرجل المريض نال المسيحيون حظوة وحماية من قوة خلفياتهم الحضارية الروس والفرنسيس والإنجليز،كما يشير لويس برنار في كتابه "أزمة الإسلام" هذا التقسيم يرسم حدوداً بين المسلمين وغيرهم، ويجعل دواعي الاندماج وقبول الآخر أمرا مستحيلا خاصة في ظل "ثقة المسلمين بالنفس وشعورهم بالقوة" واعتزازهم بدينهم وتمسكهم بأمجاد تاريخهم وموروثهم في هذا التاريخ.

### 3. الأنا العثماني والآخر الأوروبي :

ركزنا في مقالنا هذه على كتاب لويس برنار "الإسلام والغرب" لظهور العثماني كآخر لأوروبا دون منازع، ولمشروطية العلاقة بين الأنا والآخر، فكلٌ صناعةٌ لحده الثاني، لا تنطبق على علاقة العثماني بالأوروبي، لأن الأخير انفلت من الأول وتفوق عليه، وما سر هذا التفوق إلا غياب الآخر الأوروبي من أنا العثماني، فأهمل العثماني الأوربي من حيز اهتمامه "تعكس

الكتابات العربية صورة قفار بعيدة ، غير مكتشفة، يقطنها أناس غريبو الأطوار ، مثيرون ، وإلى حد ما بدائيون، لم يكن لديهم ما يخيف أو ما يمكن تعلمه. غامر عدد قليل من المستكشفين الجريئين من اسبانيا المسلمة وشمال افريقيا بالولوج إلى داخل أوروبا المظلمة، وتركوا وصفا لرحلاتهم، وهي رحلات نسمع منها النغمة نفسها، لشيء يثير الازدراء...وبالفعل لم يكن هناك أي سبب يجعلهم يكنون أي احترام لأوروبا الوسطى والغربية اللتين كانتا في القرون الوسطى على درجة متدنية جدا من الحضارة، أخلاقيا وماديا، إذا ما قورنت بالبلاد التي تشكل قلب الإسلام" **(برنار، الإسلام والغرب، 2007،ص 36)**.

لم يكن اهتمام العثمانيين بأوروبا إلا كدار حرب يستوجب فتحها عسكريا وتخضع ثقافيا وسياسيا لامتداد العثماني ولم يبحثوا يوما ما في سر مقاومة أوروبا العنيد للزحف العثماني وعدم خضوعها، رغم أن الإمبراطورية العثمانية كانت هي الأقوى، إلا أن شعور أوروبا بالندية والمساواة مع غريمها، ومحافظة المسيحية على دعوتها السماوية مكنا أوروبا من الصمود والمقاومة أكثر " ومع أن المسيحة والإسلام كانا ندين، بل متنافسين فعلا، من أجل دور الدين العالمي...لم يرغب أي منهما الاعتراف بالآخر على أنه بديل قابل للتطبيق. جرى التعبير عن عدم الرغبة هذه بعدة طرق...وأبدى الأوربيون في أجزاء متعددة من القارة ترددا غريبا في تسمية المسلمين بأي اسم يحمل مدلولا دينيا، مفضلين نعتهم بأسماء عرقية، وهادفين من خلال هذا إلى إضعاف اعتبارهم وأهميتهم، وتقليص دورهم في نطاق محلي أو حتى عشائري، وقد اعتاد الأوربيون في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة، أن يسموا المسلمين بالعرب (Saracens)، أو المغاربة (Moors)، أو الأتراك (Turks)، أو (Tatars)، تبعا للشعوب الإسلامية التي صادفوها. فالترك إلى حد كبير هو اسم أكثر دول المسلمين قوة وأهمية، فقد أصبح مرادفا حتى لكلمة "مسلم"، وكان يقال عن معتنق الإسلام إنه (أصبح تركيا )، أنى كان مكان الاعتناق" **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص27)**، ومما يدل على شيوع اسم المسلم بالتركي انتشار التسمية في أمريكا اللاتينية حتى ليشير الأديب غابريال غارسيا ماركيز في رواية "قصة

موت معلن" إلى نعت الأهالي للعرب المهاجرين لأمريكا اللاتينية بالأتراك؛ حيث كان الإسلام ممثلا في الإمبراطورية العثمانية كمركز في ظل بداية ظهور العوالم الجديدة أمريكا وأستراليا.

من الأسئلة الملحة التي كان يطرحها المفكر الجزائري محمد أركون، ما هو سر تزامن صعود الغرب وتقهقر الشرق، الأول ممثلا في أوروبا الغربية والثاني ممثلا في الإمبراطورية العثمانية؟ حيث تغيرت موازين القوى بين المنتصر والمهزوم، وإننا لنجد لويس برنار يشخص تغير اهتمامات أوروبا بالإمبراطورية العثمانية من فترة إلى أخرى، فيما تغط الأخيرة في نوم عميق وتغفل عما يحضر لها في أوروبا "وفي المواجهة الكبرى الثانية، هذه المرة بين أوروبا عصر النهضة والإسلام العثماني، أغري قلة من الناس بتغيير دينهم، وهؤلاء الذين تحولوا أتراكا هم في الأغلب مغامرون يبحثون عن حياة ناجحة في بلاد الفرص العثمانية، وبقي المسلمون، كما هم دائما، لا يعيرون أذانا صاغية لمزاعم ما يعدونه دينا قديما وباطلا، وكان المجهود التبشيري المتزايد لأوروبا المسيحية موجها بالدرجة الأولى إلى الأمريكيتين والشعوب الأبعد في آسيا وأفريقيا وشرق وجنوب البلاد الإسلامية، فالتهديد الإسلامي لأوروبا، بشكله العثماني، كان عسكريا وسياسيا في المقام الأول واجتماعيا إلى حد ما. إن التحدي والفرصة التي طرحها المشروع الأوروبي لم يكمنا في هداية الوثنيين ولكن في استثمار الأسواق الواسعة في الممالك العثمانية الممتدة في أوروبا وآسيا وأفريقيا " **(برنار، الإسلام والغرب، 2007،ص 37)**، فإن كان تقوقع العثمانيين على معتقداتهم القديمة فقد نشأ من بين ظهرانيهم ما يسيل لعاب أوروبا، إنه السوق بمفهومه الموركانتلي البورجوازي، الامتداد الحديث والحقيقي للحضارة الجديدة القائمة على مفهوم العرض والطلب، لم يكن التفوق الأوروبي ماديا بل مفهوميا في رؤيته للعالم، " وفي الجامعات التي كانت تظهر في كل أوروبا الغربية، كان الباحثون الذين تشربوا حب الاطلاع وحماسة عصر النهضة والتزموا طريقة فقه اللغة في الإنسانيات، قد نذروا أنفسهم لدراسة النصوص العربية الكلاسيكية، ما كان منها دينيا وغير ذلك، لقد سعى رجال الشؤون العمليون، المهتمون بالدبلوماسية والحرب والتجارة إلى الأخبار القادمة من تركيا وبذلوا جهودا جبارة لجمع التقارير وترجمتها، وخصوصا تلك المتعلقة بالموقف الحالي

والماضي القريب لهذا الجار المرعب، بل المغري أيضا...فعندما نشر ريتشارد نوليس، قس دير ساندويش عام 1603، وعلى الرغم من أنه لم يعرف التركية، ولم تطأ قدمه أبدا أرضا خارج انكلترا، فقد كان قادرا على أن يعكف على قدر كبير معتبر من الأدبيات التاريخية بلغات أوروبية عديدة بما فيها ترجمات لكتابات تاريخية تركية، ليصف وبتفصيل كبير وبعمق تاريخي ملحوظ "إمبراطورية" الأتراك العظيمة المصدر الحالي لرعب العالم" **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص37)**

لقد تغيرت لغة التحاور بين العالمين، لقد شكل ظهور الجامعة كمؤسسة معرفية في المجتمع الغربي نهضة حقيقية في كيفية التعامل مع الأخبار الواردة من تركيا، ربما ما زال نفس الخطر والتهديد قائمين لكن الرؤية مع المعرفة أضحت أوضح مما كانت عليه، فهي بداية نشوء الاستشراق والمعرفة بالشرق، فيما تزحزحت القرون الوسطى قليلا من أوروبا لتشمل الإمبراطورية العثمانية التي حافظت كثيرا على بقاء نظامها في شكله القديم وأهملت سنة التغير في الحياة، كونها غفلت عن الآخر ومتغيرات حياته، ويتوافق الباحث المغربي علي أومليل مع لويس برنار أن سر الانهزام يكمن في إهمال الآخر كشرط في بناء الأنا المستمر" ففي حين كان العرب والمسلمون أقوياء في الماضي كان الاختلاف الداخلي مقبولا ولم يكن هناك حرج في بسط معتقدات الشعوب الأخرى، بل كان تناولها يتسم بالعرض الذي يتوخى الحياد على النحو الذي لا يصدر إلا عن ثقة بالنفس" **(البازعي، 2000،ص 20)**، ثم يمضي لويس برنار في تعميق تحليلاته لانقلاب الموازين، وكيف تحولت الإمبراطورية إلى خطاب معرفي في كل تمظهراتها اللغوية والحضارية والمادية، فيما اقتصر اهتمام الضباط العثمانيين بما هو عسكري فقط، مهملين أثر المعرفة في معرفة الآخر " لم يكن خلال وقت طويل لريتشارد نوليس وأسلافه الأوروبيين الكثر والرواة نظراء بين العرب الأتراك الذين أظهروا عموما القدر نفسه من قلة الاهتمام كما في العصور الوسطى، وهناك بينة على أن الموظفين والضباط العثمانيين كانوا من وقت إلى آخر مهتمين بالتطور فيما وراء الحدود، ولكن قلما

انعكس هذه الاهتمام في الأبحاث والكتابات الأدبية. ولم تكن ثمة محاولة لتعلم اللغات غير الإسلامية، وعندما تطلب الأمر معرفة اللغات أو الظروف الأوروبية، كان الحكام المسلمون قانعين بالاعتماد على رعاياهم من غير المسلمين أو على اللاجئين الأوروبيين الآخرين الذين يعملون في خدمتهم...قد تلقى السبق الأوروبي في مجالات الوسائط الحربية والبحرية بعض العناية، وجرى تبنيه -إلى حد ما- في بعض الأحيان، لكن الآداب والعلوم حتى السياسة والاقتصاد في أوروبا، كان ينظر إليها على أنها لا صلة لها بالحياة أو باهتماماتالإسلام، وبذلك جرى تجاهلها.

يمكن فهم موقف كهذا في العصور الأولى، أو يمكن تبريره، غير أنه في أواخر القرن السابع عشر وعلى الرغم من أن الباشوات الأتراك ظلوا يحكمون في بلغراد وبودا وأن الجيوش التركية ظلت تهدد فيينا فقد أصبح هذا التجاهل عتيق الطراز وعلى نحو خطير" **(برنار، الإسلام والغرب، 2007،ص 38)**، إلى أن يصف لويس برنار الوضع في الإمبراطورية العثمانية بالخطير، فقد انزاحت كلية العصور الوسطى الظلامية عن أوروبا لتعلو سماء الإمبراطورية العثمانية، ثم يمضي لوصف الاستفاقة المتأخرة للعثمانيين في مختلف أشكالها.

مثلت معاهدة كارلوفيتس للسلام بتاريخ 26كانون الثاني عام 1699 آخر خطوة للتقدم والتفوق العثماني على أوروبا ومنعطفا حاسما في علاقة أوروبا بالإسلام، فالتقدم من أوروبا الشرقية عبر السهوب ومن غرب أوروبا عبر المحيطات، هدد بتطويق قلب الأراضي الإسلامية، وأظهرت الحرب في وسط المعارك أن الجيوش العثمانية تخلفت عن أعدائها الأوروبيين في التسلح والعلوم العسكرية، حتى أنه لأمر يدعو إلى التساؤل المحير كيف كان للأسلحة أن تكون أولى صادرات أوروبا في فترة الحروب الصليبية وحتى العصور الحديثة، وبينما رفض العثمانيون انتهاك قدسية كتابهم الديني عن طريق طباعته، فقد نسخوا كتبهم الدينية وكتبوا قراراتهم الإمبراطورية على أوراق مطبوعة بالعلامة المائية صنعت في أوروبا، ويمضي لويس برنار في تشخيص تداعيات غفلة الإمبراطورية العثمانية عن رؤية العالم الجديدة في ربط الحياة السياسية بالاقتصاد، حتى يقر بأن المستفيدين من التغير

الاقتصادي البورجوازي هم الغرباء والأقليات الدينية حيث مثلوا الوسطاء مع الاقتصاد العثماني فيما كانوا يعدونا هامشا في الحياة اليومية لأنهم يهود ومسيحيون ويونانيون وأرمن، ففي عام 1921 سجل أربعون مصرفيا من القطاع الخاص في استانبول، لم يكن أي منهم تركيا مسلما **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص48-51)**، يحاول برنار أن يبين عجز العثمانيين عن مجاراة الرؤية الجديدة للعالم، وهي حقيقة استفاق عليها العالم الإسلامي متأخرا بأن كمونه الحضاري قد نفد ولم يعد قادرا على مجاراة مشروطية التاريخ والإنسان، وحتى تبنيهم لمكتسبات الحضارة الجديدة كان محصورا في أشياء ذات فائدة واضحة كالأسلحة وبناء السفن وممارسة الطب، ولكن هذه الوسائل جردت قدر الإمكان من الرموز الثقافية المصاحبة لها، فتحولت إلى نتاج حضاري ميت **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص 53)**، توهما من العثماني المسلم أن الصراع لازال قائما كما كان وعليه أن يحسم في رفض الاعتراف بالهزيمة ولو من باب المكابرة على مستوى الفرد والذات.

أورد لويس برنار العديد من الشهادات في وثائق العثمانيين التي تنبه للخطر القادم من أوروبا، فقد حذر لطفي باشا أكبر وزراء السلطان سليمان الكبير "تحت حكم السلاطين السابقين وجد العديد ممن حكموا الأرض، ولكن الذين حكموا البحر كانوا قلة، وفي قيادة المعارك البحرية كان الكفار متقدمين علينا، علينا أن نتغلب عليهم" وفي عام 1580 تقريبا تلقى العثمانيون أخبار العالم الجديد بقلق وريبة حيث حذر جغرافي عثماني مراد الثالث من خطر الجغرافيا الجديدة الناشئة حول الإمبراطورية وأثرها على التجارة العالمية **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص53)**.

أفضت الأزمات الناتجة البحث عن الأسباب الحقيقية، لكن الحلول كانت ترقيعية عتيقة، وبدأ الأتراك المسلمون؛ رجال الدولة، والجنود والباحثون بمواجهة الحقيقة المرة لضعفهم، مقارنين مجتمعهم بمجتمع أوروبا، آملين أن الأخير يمكن أن يقدم بعض الحلول.

### 4. أوروبا مركز جديد لعالم جديد بسلطة جديدة:

ما كان لأوروبا أن تنسى جدران فيينا المحاصرة مرتين، ولا أن تنسى إقامة العرب طيلة ثمانية قرون في إسبانيا، ولاضياع وأسلمة روما الثانية – بيزنطة – فكيف لها أن سيجت مفهوم الآخر المسلم – العثماني التركي في وقت مضى- في مفهوم وصورة وعلاقة لا ينفلت منها أبدا لأنه لم يعد العدو المرعب، بل العدو الذي رافق تشكل الأنا، فحتى تفهم أوروبا أناها لا بد لها من العودة دائما لتاريخ العثماني المسلم، فهل ترتكب هي أيضا نفس الحماقة وتهمله كآخر من وجودها، أم هي في حاجة دائمة إليه لترى صورتها في وجهه؟

لقد تباينت مواقف أوروبا من العثماني المسلم من فترة إلى أخرى، تحكمها أبعاد وخلفيات متعددة من السياسة إلى الأدب إلى المصلحة والذوق وانتهاء بحركة الاستعمار والإمبريالية، في البداية كان العداء المطلق؛ لأنه محصلة تاريخية لصراع طويل فاحتاجت أوروبا للحظات الانتقام في أبسط الصور إلى أعقدها "فليس هناك مكان للمسلمين في أراضي العالم المسيحي التي فقدت سابقا والتي استردت ثانية الآن، وحتى جمهورية البندقية Vénice التي عاشت من تجارة المشرق كانت تواجه أكبر صعوبة في تحمل وجود أي خان ولو كان صغيرا ينزل فيه التجار الأتراك الزائرون" **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص26)**، لقد أضحى وضع الأتراك في المجتمع الغربي كالعاهرات والجذام والمجانيين، حتى لا يليق بمدينة كالبندقية رائدة التجارة في الشرق أن يكون بها خان متواضع لهم.

ما كان لأوروبا أن تعيد التاريخ ولا أن تهمله، لم يعد العثماني المسلم يستحق أن يكون آخر أوروبا الوحيد فقط في ظل العالم الجديد الذي امتد شرقا وامتد غربا، وما كان لها أن تهمل جوهره التاريخي ألا وهو الإسلام؛ القادر على الانبعاث الحضاري ما توفرت له الظروف لذلك، لكن هذا الإهمال أو لفت النظر لم يكن مطلقا بل مرحليا لأنها أوكلته لمن سيسيجه في خطاب النسق العتيق "لقد أصبح الإسلام الآن بالنسبة إلى المفكرين الأوروبيين هدفا للدراسة البحثية، وشيئا ينظر إليه بفضول علمي، أكثر من أن يكون عدوا خطرا يجب أن يجابه ويدحض" **(برنار، الإسلام والغرب،2007، ص52)**، إن كان العثمانيون قد استعانوا بالبارود والمدافع والسيوف في مقارعة أسوار فيينا، فقد أوجدت الجامعات

الأوروبية حقل الاستشراق الذي يفت ويفكك الظواهر الإنسانية ويقدم نتائجه المعرفية لمن هو أولى بها، ألا وهي السياسة. لقد نشأت في أوروبا مفاهيم جديدة وسلطات جديدة، إنها سلطة المعرفة.

**1.4.تشكيل الاستشراق :**

فرع معرفي، تحكمه بنية إبستمولوجية كغيره من المعارف والعلوم، له مصطلحاته الخاصة، وأدواته المنهجية، وموضوعه، و تُخصص له الكراسي الجامعية والبعثات العلمية، وكل ما يجعل منه فرعا أكاديميا.

فالاستشراق بنية، "والأبنية States تشكيلات تاريخية ، وضعيات، أو اختباريات، « إنهّا طبقات رسوبية » مترسبة، تتكون من أشياء وكلمات، من رؤية وكلام، من مرئي وملفوظ، من رحاب رؤية، وحقول قراءة مضامين وتعبيرات" **(دولوز،1987،ص55)**، فظهور الاستشراق كثقافة نصية في كتابات الأوروبيين المختلفة، وتداول رموز الشرق كثقافة بين الناس العاديين؛ حكمته تراكمات تاريخية، وجدليات مادية معرفية؛ انتهت به إلى فرع معرفي أكاديمي يعرف بالاستشراق (Orientalism)، " فأيّ نظام من الأفكار قادر بعد كل حساب، على أن يبقى دون تغير كحكمة قابلة للتدريس (في المجامع، والكتب، والمؤتمرات، والجامعات، ومعاهد السلك الخارجي) من زمن أرنست رينان في أواخر 1840 إلى الوقت الحاضر في الولايات المتحدة. لا بد أن يكون شيئا أكثر صلابة ومتانة من مجرد مجموعة من الأكاذيب " **(سعيد،1995،ص41)** .

فالاستشراق تظافر عدد من الأشياء وتفاعلها، من ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، وروائيين وفلاسفة ومنظرين، وإداريين استعماريين، وملاحم، وروايات وأوصاف اجتماعية وعادات وتقاليد...إلاّ أنّ الدلالة الأكثر تقبلا هي دلالة جامعية أكاديمية، حكمها نوع من التبادل المستمر بين المعنى الجامعي والمعنى التخيلي، في مجتمع غربي جديد تنظم جميع

مظاهره المعرفة، فأضحى العثماني المسلم بحثا أكاديميا ليس له وجود مادي بالضرورة، تتشكل صوره وتمثلاته بعيدا عن تهديداته.

يقر إدوارد سعيد بما وفرته علاقة الشرق بالغرب من إمكانية واسعة وضخمة لظهور الاستشراق كخطاب؛ أي ما جعل تلك التجربة الفرنسية والبريطانية ممكنة وشخصية ونوعية من خلفيات تاريخية وفكرية، والبؤرة في هذا القسم كما يقول بيل أشكروفت"هي النظر إلى التمثيل من أجل توضيح التشابهات في الأفكار مثل الطغيان الشرقي، والحساسية الشرقية، الصيغ الشرقية في الإنتاج، والإشراق الشرقي" **(أشكروفت, بيل; أهلواليا, بال; سعيد, إدوارد; 2000-2002، ص79)**، ثم مرحلة عرض التراكيب الاستشراقية وإعدادات التركيب، ويخص المادة البريطانية والفرنسية وكيفية سير الكتاب الفيلولوجين، والمؤرخين والمبدعين الكبار في القرن التاسع عشر معتمدين على تراث من المعرفة المتشكلة مسبقا ببناء شرق نصي والتحكم فيه؛ حيث أمكن للاستشراق أن ينضج في شكل حقل معرفي تأثرا بالحقول الأخرى، وليس من قبيل الصدفة أن تكون الدول المنافسة للإمبراطورية العثمانية أكثر المساهيمن في حقل الاستشراق روسيا، النمسا، بريطانيا، فرنسا.

**2.4.سلطة الاستشراق:**

لقد ارتبط مفهوم السلطة بعالم السياسة، وعلاقات الدول، والحكومات، وأضحى مفهومها الاجتماعي- السياسي أكثر انتشارا وتداولا من أيّ تعريف آخر؛ تبعا لطبيعة العلاقات المادية الصدامية بين الإمبراطورية العثمانية وأوروبا، لكنّ هذا الفهم الشائع لا يعكس طبيعة السلطة في علاقتها بالمعرفة.

السلطة نتاج اجتماعي، يتمظهر في سلوك الإنسان كفرد، أو ما ينتج عنه من تنظيمات ومؤسسات في مختلف الميادين، والغاية في كلا المظهرين هي التحكم في توجيه الأشياء المختلفة، وحتّى المتنافرة في اتجاه واحد، يطمس، ويغيّب كل الذوات المتفاعلة؛ لأجل مصلحة واحدة، تقف من ورائها ماهية جوهرية، تحرسها عادةً ميتافيزيقا مقدسة، تمنع السؤال وتجيب بقدرٍ. فسلطة المجتمع تقف ورائها طبقة ترعى مصالحها باسم حماية الأخلاق،

وقداسة الدين، فالأخلاق والدين مفهومان ميتافيزيقيان، يصلحان كشعارات عمومية، تختفي وراءها الكثير من الممارسات السلطوية الاستلابية؛ هذا جوهر ما استخلصه الدرس الاستشراقي من العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الشرقية، فنظام الأسرة وعالم الحريم من مظاهر السلطة التي تأسس عليها حكم العثمانيين **(برنار، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، 1982، ص59-95)**

السلطة في الخطاب الاستشراقي-كونه خطاباً- و علاقاته بالمعرفة وإرادة الحقيقة؛ كونه خطابا متمظهرا ماديا في مؤسساته المعرفية والجامعية ونظم النشر والتدوين، كذلك؛ كونه يندرج في أنماط كتابة معينة تشكّلت في ظل مركزية معرفية أوروبية وصدارة اقتصادية وعسكرية عالمية، دون أن ننسى الانتماء العام لعلم الاستشراق لدائرة العلوم الإنسانية، وما اكتنف تشكلّها ونضجها من أيديولوجيا ومركزية تحتجب تحت مسميات الموضوعية والعقلية.

فالخطاب الاستشراقي هو توزيع و إعادة توزيع للوعي الجيوسياسي إلى نصوص جمالية وبحثية واقتصادية واجتماعية وتاريخية وفقه لغوية، تخلق فيما بينها سلسلة مصالح، وتحافظ عليها بوسائل خاصة؛ كالاكتشاف البحثي والاستبناء الفقه لغوي والتحليل النفسي والوصف الطبيعي والاجتماعي. فلويس برنار يصف لنا مفهوم الوطن في الإمبراطورية العثمانية وكيف شابه التحول، بعيدا عن واقع حقيقي مقابل للنص " كان الوطن بالنسبة إلى المسلمين الأتراك العثمانيين هو الإمبراطورية التركية العثمانية التي تضم معظم أراضي الإسلام المركزية في الشرق الأوسط، ومن بين حكامها السابقين عرب وسلاطين عثمانيون...وكان الولاء الوطني مكنونا للوطن ويقدم للسلطان العثماني " **(برنار، الإسلام والغرب، 2007،ص 247)**، فالحقيقة أضحت نصية أكثر منها دنيوية، فالإمبراطورية العثمانية عرفت من الولاء والتمرد التجارب الكثيرة التي لا تجعلنا نجزم بحقيقة واحدة لمفهوم الوطن؛ الذي هو في جوهره مفهوم سياسي حديث لم تعرفه الحضارات القديمة.

فهذا الإرث المعرفي الاستشراقي و هو يحبو ثم يخطو ثم يقف على رجلين كفرع معرفي حقيقي ذي خلفية خطابية، تستثمره فيما يناقضها، وفي صدامها مع الشرق أصبح يمثل الحقيقة؛ حين اقترن بالتجربة المادية الناجحة الّتي تثبت صحة ما ادعته المعرفة الاستشراقية.

فالمعرفة العلمية المضبوطة أصبحت تساهم في تشكيل الحقائق، و تأكيدها، لا من حيث هي معارف صحيحة، بل من حيث هي من اكتسبت سلطة قول الحقيقة دائماً، حتّى أضحت قناة تمرير معارف غير علمية، يحتاجها الخطاب في حربه ضد الخطابات المنافسة له، فالتاريخ والجغرافيا حقّقا إنجازات ضخمة في أوروبا والولايات المتحدة. فالباحثون الآن يمتلكون بحق قدرا أكبر من المعرفة بالعالم ماضيه وحاضره من ثم كان موضوع الجغرافيا غير التّام، يفسح المجال أمّام المعرفة التخيّلية؛ جغرافية، وتاريخية، لتتداول كحقائق مثلها مثل حقائق الفرع المعرفي المضبوط وذاك ما طال بالضبط عالم الحريم في الإمبراطورية العثمانية، حيث عملت الإيروتيكية الغربية عملها في تخيل عالم الحريم وألف ليلة وليلة.

فالحركة الاستعمارية نتاج رحلات البحث الجغرافي الّتي أظهرت للوجود أراضي كانت مجهولة، وغير مكتشفة - خارج حركة التوثيق الجغرافي العالمي في العالم القديم – وقد تدّعم هذا النشاط الكشفي بعلم الخرائط الّذي حوّل أمّاكن الآخرين الحقيقية إلى نصوص عن طريق التسمية، وفي أغلب الأحيان تعاد تسمية الأمّاكن بأسماء رمزية، وعلامات حرفية تدل على السيطرة والمراقبة.

ولقد جسّدت الخرائط إيديولوجيا أوروبية على الأقاليم في أرقام الطرقات، عدا أسماء الأمّاكن. وقد كانت الأمكنة الفارغة على الخرائط الأولى، تعني الانفتاح والإغراء والعذرية، أين أمكن للخيال الأوروبي أن يعكس نفسه بحرية، وأين أمكن للمكتشف الأوروبي (خاصة الذكر)، أن ينفذ ويسيطر. فالأمكنة الفارغة هي ذاتها دعت التصورات الثقافية الأخرى – الغريبة عن المكان- إلى إبداع تصورات حول الوحوش وأنصاف البشر والرجل البري المتوحش. وقد انتقلت هذه المفاتيح من خرائط أستراليا إلى خرائط إفريقيا، وأضحى الكنبالي (الأسترالي المتوحش) مرادفا للإفريقي الأسود. ولم يكن بالإمكان سماع صوت الأهالي، أو أي

شكل من أشكال الحضور، في هذا الخطاب العلمي القياسي الجديد، أو في النصوص المكتوبة الّتي تضمّنها علم رسم الخرائط.

كانت صور الأهالي في كل الأحوال صورا توضيحية للمتوحشين، والكنبال، و الوحوش. **(Ashcroft, Bill; Griffiths, Gareth; Tiffin, Helen;, 2006 ,P 31 ;32 ;33 ).**

## 5. خاتمة:

لقد امتزج الخيالي بالمعرفة في صورة حقيقة مسلم بها، اتجاه عالم اسمه الشرق، في شكل خطاب اسمه الاستشراق، لقد أضحى صدى المعرفة الّتي هي من قبيل الجغرافيا التخيلية، يتردد في جسم كامل الخطاب الاستشراقي، ولم يسلم أي موضوع من موضوعاته، وخاصة بعدما تم تسليم الواقع الشرقي كعالم حقيقي إلى كتلة من النصوص، تفوق التصور، ذاتية التولد، والانتشار، بعيدا عن كلّ موضوعية، مع تقزيم الشرق، ومعانيه، وإحالته إلى عالم عتيق رومانسي مع تطور العلوم الغربية.

لم يسلم لويس برنار باتهامات الاستشراق ودافع عليه وعلى نتائجه المعرفية "يطرح انتقاد الاستشراق عدة أسئلة حقيقية، وقد قال العديد من النقاد إن المبدأ الموجه لهذه الدراسات يعبر عنه هذا القول " المعرفة قوة"وإن المستشرقين كانوا ينشدون معرفة الشعوب الشرقية بهدف السيطرة عليها...ولاشك أن هناك بعض النستشرقين الذين خدموا الإمبريالية أو استفادوا موضوعيا أو ذاتيا من الهيمنة الإمبريالية. ولكن أن نعد ذلك تفسيرا للمشروع الاستشراقي ككل فذلك إنما يمثل قصورا عبثيا..." **(برنار، الإسلام والغرب،2007،ص177)**، استفادت أوروبا أيما استفادة من علاقتها بالإمبراطورية العثمانية لا في رد وإعادة رسم الصورة والتحكم في التمثل، بل في اكتشاف مفهوم جديد للآخر يقوم على طبيعة الوسيلة التي يمكن من خلالها أن تقرأ الآخر قراءة جديدة بعيدا عن التصورات التقليدية والشعبوية.

## 6. قائمة المراجع:

1- Ashcroft, B., Griffiths, G., & Tiffin, H. (2006). *post-colonial studies. thekeyconcepts*. London, Great Britain: Routledge.

2- ابراهيم، عبد الله. (2004). المطابقة والاختلاف ، بحث في نقد المركزيات الثقافية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

3- أبو نهرا، جوزيف. (2013). المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني . بيروت: مركز الشرق المسيحي للبحوث والدراسات. جامعة القديس يوسف.

4- أشكروفت، بيل .أهلواليا، بال .سعيد، إدوارد .(2002-2000) .مفارقةالهوية .دمشق، سورية : نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

5- البازعي، سعد .(2000) .الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف .بيروت ,لبنان :المركز الثقافي العربي .

6- برنار، لويس. (1982). استنبول وحضارة الخلافة السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع.

7- برنار، لويس. (2007). الإسلام والغرب. دمشق، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

8- الجوجري، عادل. (2013). لويس برنار سياف الشرق الأوسط ومهندس سايس بيكو 2،حلب، سوريا: دار الكتاب العربي.

9- دولوز، جيل. (1987). المعرفة والسلطة بيروت، لبنان: المركزالثقافي العربي.

10- سعيد،إدوارد .(1995) .الاستشراق ، بيروت، لبنان :مؤسسة الأبحاث العربية.

11- لبيب، الطاهر. (1999). صورة الآخر ، العربي ناظرا ومنظورا إليه. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.